

العلاقات التركية الروسية (ما بعد الخصام المر)

2016-08-16 محمد بن سعيد الفطيسي

أدت التحولات والمتغيرات العالمية التي استجبت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من العام 2001م، كالحرب على الإرهاب وتراجع المركزية الأميركية باتجاه واضح نحو (نظام تعددي قطبي فضفاض يبدو فيه العالم على شكل تحالفات مصالح تحافظ فيها تلك الدول على مرونة قدرتها على تغيير شركائها، او عبر تشكيل تحالفات جديدة ردا على التغيرات الحاصلة في تطلعات نظرائها وقدراتهم) (1) الى تغيرات جذرية مستقبلية هامة للغاية على صعيد أنماط التفكير السياسي للدول، وكذلك حقل العلاقات الدولية، وهو ما أدى بدوره الى بروز الكثير من الفلسفات السياسية، والسياسات والتوجهات العالمية على رقعة الشطرنج الجيوسياسية.

والمتتبع لتلك المتغيرات والتحولات الجيوسياسية العالمية لا يمكن له فهما بشكل جيد وواقعي خصوصا حينما يتعلق ذلك بحقل العلاقات الدولية خارج سياقات أخرى ذات علاقة متلازمة بالتأثير في أنماط التفكير السياسي للكثير من الدول، كالتاريخ السياسي والجغرافيا السياسية ونماذج تفكير قياداتها السياسية من جهة، وكذلك تأثير الأحداث والمتغيرات العابرة للحدود الوطنية نفسها عليها.

كما انه ومن جهة أخرى، لا يمكن تفكيك وتحليل تلك التوجهات والمتغيرات والأبعاد السياسية لتلك الدول في علاقاتها مع الآخرين، وكذلك فهم توجهاتها وسياساتها من خلال قراءة تحليلية تحاول فهم تلك الأبعاد من دائرة ضيقة لا تتجاوز إطار الأحداث، لذلك ولكي نفهم السياسة الدولية فانه لابد لنا من النظر إليها من خارج ذلك الإطار الضيق، بحيث لا نقع تحت تأثير الأحداث فنصبح جزءا منها.

و(تعتبر السياسة الخارجية المرآة التي تعكس آراء الدولة وتوجهاتها نحو المواقف المختلفة في الساحة الدولية، لكن؛ لهذه السياسة مجموعة من المحددات التي تشكلها وتصبغها في اتجاه معين يخدم مصلحة الدولة بشكل عام، كما ان هذه السياسة تتعدد جهات تشكيلها. فتتأثر السياسة الخارجية للدولة بعدة محددات أهمها القيادة السياسية وجماعات المصالح والأحزاب السياسية والرأي العام.... كما تتعدد الأدوات لدى صانع القرار في السياسة الخارجية للدولة ما بين الأداة

العسكرية التقليدية والأداة الدبلوماسية والأداة الاقتصادية، كلاً بما يتناسب مع الموقف الدولي(2)

على ضوء ذلك، سنحاول تسليط مجهر البحث والتحليل على أبعاد المتغيرات والتحويلات التي استجدت في العلاقة السياسية بين روسيا (بوتين) وتركيا (اردوغان)، وإذ نصبغ تلك الدول بصبغة رؤساءها، فإننا بذلك نؤكد على جانب تأثير شخصية القيادة السياسية ودورها القوي ونموذج تفكيرها على توجهات تلك الدول، عليه وفي هذا السياق، سنطرح السؤال التالي:- ما هي الدوافع والمتغيرات التي يمكن ان تساهم في إعادة إحياء تقارب العلاقات بين الروس والأترك بعد توترها (الخصام المر) نتيجة إسقاط تركيا لطائرة عسكرية روسية على الحدود السورية ما دفع روسيا إلى فرض عقوبات اقتصادية، وتعليق رحلاتها السياحية إلى تركيا، وتشنح ملحوظ على صعيد العلاقات الروسية التركية ؟

إلا انه وقبل الدخول الى تحليل بعض تلك الجوانب المتعلقة بالدوافع والمتغيرات سألقة الذكر، سنحاول تلخيص ابرز القضايا التي تعد منطلق الخلاف والتنافر في المصالح والتوجهات والسياسات بين الدولتين، ومنها فقط ستبرز نقاط الالتقاء والتقارب بين الطرفين، وتلك القضايا تتعلق بالجوانب التالية:-

(1) الأسباب السياسية والجيوسياسية:- والتي تتعلق بشكل رئيسي بالصراع في سوريا وانعكاساته على المصالح الجيوسياسية لكلا الدولتين، وكذلك تأثيره على الأمن القومي التركي على وجه الخصوص من خلال (التنسيق الأمني وتبادل المعلومات الاستخباراتية لاحتواء إرهاب تنظيم داعش القادم من الأراضي السورية) وكذلك في سياق صراع المصالح الجيوسياسية في المنطقة بين ابرز أقطابها وقواها الرئيسية (روسيا - تركيا - إيران)، سواء كان ذلك فيما بينهم، او في مواجهة الغرب والولايات المتحدة الأميركية.

(2) الأسباب الاقتصادية:- والتي تدور حول تأثير كلا الدولتين من الناحية الاقتصادية بهذه القطيعة وهذا الخصام وتوتر العلاقات بينهما، خصوصا في جوانب التجارة والسياحة وما يتعلق بمجالات النفط والغاز، ويمكن القول باختصار ان الاقتصاد هو المحرك الأبرز والاهم في العلاقات بين البلدين، طبعا بالإضافة الى المصالح المشتركة الأخرى، وفي هذا السياق يرى الخبير الاقتصادي من

مؤسسة بروكينغر ريتشارد كاوزلاريتش:- ان من أهم أسباب عودة العلاقات الروسية التركية الى طبيعتها، هو توجس موسكو من ان تفقد حصتها من الغاز في السوق التركية الضخمة على حساب الغاز الإسرائيلي، لا سيما بعد تطبيق العلاقات التركية الإسرائيلية.

بالتالي يمكن تلخيص جوانب التقارب المحتملة والتي سيلعب عليها الطرفين بلا شك، وستكون الأوراق التفاوضية الراجعة او نقاط التقاء المصالح الحيوية التي ستعيد ضخ الأوكسجين الى رئة العلاقات التي تقاطعت ولكن لم تصل الى مرحلة القطيعة بين الطرفين الروسي والتركي في ظل وجود قيادتين سياسيتين متقاربتين في الكثير من جوانب التفكير السياسي والطموحات الجيوسياسية على رقعة الشطرنج الاوراسية، وتلك الجوانب هي:-

(1) بروز تفاهمات على صعيد الصراع في الأرض العربية السورية، مع استبعاد ان يكون ذلك على حساب مستقبل النظام السوري ولكن ربما سيكون على حساب مصالح أخرى كمستقبل الكيان الكردي في شمال سوريا على سبيل المثال، والتنسيق الأمني لضرب تنظيم داعش.

(2) محاولة البحث عن نقاط التقاء للمصالح الجيوسياسية الخاصة بكلا الدولتين في منطقة الشرق الأوسط، واوراسيا في ظل تراجع الدور الأمريكي - الغربي في المنطقة، وهو أمر هام للغاية لتلاقي الأهداف الجيوسياسية لخلق توازنات بين تحالفات قارية لها مصالح مشتركة يمكنها ان تواجه أطماع وطموحات الإمبراطورية الأميركية على رقعة الشطرنج الاوراسية خصوصا في ظل تراجع دور المركزية الأميركية، ولا شك ان كلا الدولتين تعلمان بأنه ما من صداقات او عداوات دائمة في العلاقات الدولية، وبالفعل قد اتضحت انعكاسات هذا التقارب سريعا على الولايات المتحدة الأميركية والغرب ولو من الناحية النفسية كما وصفتها صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر يوم 9 أغسطس/2016م:- أن روسيا وتركيا تعهدتا بتحسين علاقاتهما، بينما يراقب الغرب الأمر بعصبية وتوتر.

(3) من ابرز الأهداف الجيوسياسية التي استشعرت كلا الدولتين خطورة أثره المستقبلي على مصالحهما على رقعة الشطرنج الدولية نتيجة حالة القطيعة المؤقتة بينهما هو إمكانية إضعاف التحالف الثلاثي القائم بفرضية المصالح المشتركة (الهش أصلا لوجود تاريخ من الصراع بين تلك

الأطراف) فيما يطلق عليه بالمباراة المركبة) بين كل من إيران وتركيا وروسيا خصوصا في ما يتعلق بمنطقة البلقان الاوراسية، وكذلك فيما يتعلق بالصراع في سوريا، وفي بناء تحالف ثلاثي بينهما لا يستبعد ان تنضم إليه الصين فيما بعد، وفوائد ذلك التحالف من الناحية الجيوبوليتيكية (3) لذا فان وجود تحالف ثلاثي سيكون بمثابة صمام الأمان لمستقبل تواجد تلك الدول في المنطقة، وهو تحالف مصالح تحافظ فيه تلك الدول على مرونة قدرتها على تغيير شركائها، او عبر تشكيل تحالفات جديدة ردا على التغيرات الحاصلة في تطلعات نظرائها وقدراتهم.

(4) إعادة التناغم والتقارب الاقتصادي الكبير على الصعيد السياحي والتجاري، خصوصا ان حجم التبادل التجاري بين الدولتين يزيد عن 40 مليار دولار سنويا، والمتضرر الأكبر على هذا الصعيد هو الجانب التركي، خصوصا فيما يتعلق باستئناف مشروع نقل الغاز الروسي إلى تركيا ومنها إلى أوروبا.

باختصار، فترة القطيعة المؤقتة او الخصام المر بين كل من روسيا وتركيا جعلت كل منهما يعرف أكثر قيمة الطرف الآخر بالنسبة إليه ولمصالحه الجيوسياسية والجيوبوليتيكية في الشرق الأوسط واوراسيا (قارة آسيا وأوروبا)، وان كنت لا استطيع ان اجزم بتحول مفصلي في قضايا المنطقة وخصوصا الصراع في سوريا نتيجة ذلك التقارب والتفاهم خصوصا على المدى القصير، نظرا لاختلاف وجهات النظر والمصالح بشكل كبير بين الطرفين، ولكن ما استطيع ان المسه من هذا التقارب والمراجعة التي حدثت في فترة القطيعة هو تفاهمات أمنية (الحرب على الإرهاب) تنظيم داعش والتفاهم حول القضية الكردية، كما أرجح التأكيد على ولادة تحالف ثلاثي قادم بين كل من روسيا وتركيا وإيران، وربما الصين خلال الفترة القادمة، وتفاهمات اكبر حول القضايا والمصالح الاقتصادية على وجه الخصوص، وهو أمر لن يطول كثيرا حتى يظهر للعيان من خلال تفاهمات واتفاقيات.

* باحث في الشؤون السياسية والعلاقات الدولية

.....

(1) محمد بن سعيد الفطيسي، العالم على تخوم نظام حكم الكثرة (البولياريكي - Polyarchy)،

جريدة الوطن العمانية، بتاريخ 27/4/2015م

(2) أسماء احمد شوكت على عبدالبديع، القيادة السياسية والتغير في السياسة الخارجية الروسية

تجاه دول آسيا الوسطى "2000-2015"، المركز الديمقراطي العربي، بتاريخ 26/7/2016م
(3) لمزيد من المعرفة حول هذا الجانب يمكن الاطلاع على كتاب رقعة الشطرنج الكبرى لزبغنيو
بريجنسكي، ترجمة:- أمل الشرقي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1/1999م

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية